الناظر المعروف واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني
على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب
فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له ساق هذه
الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي
واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته
ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري تلقائي وترائي وقرا ابو حنيفة رح واذا لاقوا وخلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه و
اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك
وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشياطين في موضع
من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه
الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا
باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم
اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم
من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج
عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا وآمنا

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر
والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج
عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزءون بقوله
انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد
للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء
تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم
انا معكم فقالوا فما لكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض
العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف فان قلت
لا يجوز الاستهزاء على الله تع لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم
لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه
والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء
امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز
ان يراد به ما مر في يخادعون من انه تجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار
ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت
هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل
بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا
لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد
وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)